الحلقة الثانية

جنوب السودان : لم يقص من القصة

هيلدا جونسون

Hilde Johan son : South Sudan the untold story

From Indep to civil war

كما ذكرت في الحلقة السابقة ، إن عمر السودان الحديث 1821/ 1954 – حوالي 133 عاما، كان نصيب أهل السودان من الحكم فيها 13 عاما . ومع ذلك تُحمّل هذه البضعة عشر عاما أشكالات واخفاقات الحقبة من مظالم وتجارة رقيق وتهميش علما بأن حقبة الخليفة عبدالله 13 عاما ، كانت حقبة تحرير ومدافعة وكان المشروع المهدوي مشغولا بالجناحين الشرقي والشمالي – بالإضافة إلى حروبه في دارفور والجزيرة وغيرها .

مع نيل جنوب السودان استقلاله ورفع علمه ، كان من المتوقع أن ينشغل بمشاكله الداخلية ، خصوصا وقد فقد قائده الفذ جون قرنق ولكن فجأت ظهرت الحركة الشعبية لتحرير السودان . قطاع الشمال ، كما افتعلت الإدارة الجنوبية صراعات حول هجليج وقامت بغزوها واضطرت للإنسحاب في 20 ابريل 2013م نتيجة للضغوط الدولية وشروع القوات السودانية في تحرير المدينة .

تحسنت العلاقات بين البلدين ببطء ، وتم الإتفاق على رسوم عبور البترول بواقع 11 دولار للبرميل من الوحدة ، 9.10 دولار للبرميل القادم من اعالي النيل ، كما تم الإتفاق على التراجع مسافة 10 كلم من المناطق المتنازع عليها في 12 مارس 2013م ، ولكن ففوجئت الحكومة. السودانية بهجوم مباغت. من. فوات العدل والمساواة وقطاع الشمال على أبوكرشو.لا في 27 ابريل 20134م ، مما دعا الرئيس البشير إلى القول في حفل جماهيري بان حكومة جنوب السودان إذا استمرت في دعم المتمردين فإن الحكومة السودانية ستغلق انبوب النفط في وجه البترول الجنوبي . وفي 23 يوليو 2013م قام الرئيس سلفا بحل حكومته بما فيها ريك مشار ، وتلا ذلك في 27 اكتوبر الإستفتاء الأحادي الجانب الذي تم في أبياي بحضور الثلاثي دينج الور ، ولوكا بيونغ وأدوارد لينو ، والذي انتهي إلى المطالبة بالإنضمام إلى جنوب السودان ومن الغرائب أن سلفا قال بأن الحكومة لن تعترف بنتيجة الاستفتاء ، بينما دافع ريك مشار عن الإستفتاء ، ولكن ظلت القضية الاساسية في الجنوب هي سياسات الإفساد والفساد مما دعا الرئيس سلفا في 22 يونيو إلى توجيه خطاب إلى 72 من كبار رجال الدولة لإعادة ما نهبوه من أموال الدولة ، علما بأن الرئيس سلفا ذاته كانت اصابع الإتهام تشير إليه ، ولم يتم عمل شيء مباشر إلا في يونيو 2015م ضد لصوص المال العام ، حيث ابعد بعضهم

واعتقال البعض ، ومن سياسات الفساد وجه الرئيس سلفا بسياسات الإثنية (القبلية العرقية) حينما طالب ريك مشار بتأسيس أربعمائة إدارة شعبية بدلا من نحو ثمانين ، وخصصت الكاتبة فصلا كاملا عن متاعب مفوضيتها في ولاية جونقلي باعتبارها أكبر الولايات في جنوب السودان وتضم حوالي 1.3 مليون من البشر ، ومع إن غالبية سكانها دينكا إلا أن الصراع فيها يشتد مابين النويرلو ، والمورلي والدينكا في مدارات بور عاصمة الدينكا والبيبور عاصمة المورلي وأكوبو عاصمة النوير. وحتى عام 1991م كانت تقاليد الحرب تمنع قتل الشيوخ والأطفال ، ولكن تغير الوضع مع إنتشار السلاح وفقدان الهوية والذاكرة التاريخية – بل حتى شباب النوير المثقف في كندا ساهم في تأجيج مشاعر الكراهية والحرب وطالبوا بمسح المورلي من الوجود ص 107 . وكان عدد الجيش الابيض نوير في حدود ثمانية آلاف بينما كل قوات مفوضية الأمم المتحدة 3.5 ألف، وحينما استعرت الحرب كانت المرة الوحيدة التي تحركت فيها قوات SPLM للفصل بين المتقلتين وتحت الحاح مفوضية الأمم المتحدة لأن الإدارة الجنوبية كانت ترى الصراعات القبلية أمرا من طبيعة الحياة في الجنوب ، كما كانت الإدارة الجنوبية ترى في قائد المورلي ديفيد ياو ياو عميلا للخرطوم وكان لديه 500 مقاتلا ولم تفعل مفوضية الامم المتحدة شيئا حينما اسقطت SPLM أحد طائراتها في 21 ديسمبر 2012م في منطقة ليكو وقتل ملاحيها الأربعة . وتصف الوضع المأساوي في المنطقة حيث الكل يقتل الكل وينهب البقر مع السرقة وانتهاك حقوق الإنسان بما في ذلك SPLM.

تقول هيلدا انها تعرف سلفا منذ عام 1998م ، وأن سلفا ظل وفيا لجون قرنق حتى في مؤتمر رمبيك نوفمبر عام 2004م ، وأن سلفا لايثق في أحد ، وفي المقارنة بين مشار وسلفا ، تجدها تصف مشار بأنه النقيض لسلفا بجاذبيته وشهامته ، وربما كان هذا سبب مشاكلها مع الرئيس سلفا اعجابها بشخصية ريك مشار ، ومن تعقيدات الجنوب تباين مراكز القوى حول الرئيس سلفا، فهناك أولاد قرنق كباقان موم ودينج الور – وهناك القادة العسكريون الطموحون كبول مالونج Paul Malong ، وقد اعتمد عليه سلفا في صراعه مع مشار ، وكذلك هناك مجموعة لام أكول – بالإضافة إلي مجلس أعيان الدينكا واهم رموزه بونا ملوال ودومنيك ديم .

وقبل مؤتمر رمبيك الشهير في نوفمبر 2004 ، انتهت هيلدا إلى أن التوتر مابين سلفا وجون قرنق أساسه الجنوبيون المدفوع لهم من الخرطوم ــ وكانت مراكز قوى في الخرطوم تريد أن تحول بين جون قرنق ومنصب النائب الأول ص 154 .

بدأت نذر الحرب الأهلية تطل حينما تم حل الحكومة في 23 يوليو 2013م وابعاد مجموعة مشار وأولاد قرنق ثم قام سلفا بعد ذلك بحل أجهزة الحركة الشعبية وشن هجوما على أولاد قرنق والمرافيد ، مما أدي إلى تكوين تحالف ضده من أولاد قرنق ومجموعة ريك مشار ، خصماء الأمس أصبحوا أصدقاء اللحظة ، وفي 6 ديسمبر 20134م تم عقد مؤتمر صحفي في جوبا شارك فيه مشار وباقان ودينج الور ، وكان حينها سلفا في خارج الجنوب في مؤتمر للمانحين في باريس – وشن الثلاثي هجوما ضاربا على سلفاكير الذي سافر بعد ذلك للمشاركة في مراسم تشييع مانديلا في 13 ديسمبر 2013م وتوترت أجواء جوبا بالشائعات ، وفي 15 ديسمبر 2013م عقد الرئيس سلفا اجتماعا لمجلس التحرير غاب عنه السفراء كما غاب عنه أولاد قرنق وكان خطاب سلفا مشحونا وفي المساء اندلعت الحرب بين مكونات الحرس الجمهوري ثم القيادة ، وكانت أبشع حرب شهدها السودان حيث التصفيات علي أساس الهوية وحرق الأحياء ، وطبح لحومهم وأكلها أحيانا واغتصاب وقتل للأطفال والنساء ، وبقر لبطون النساء الحوامل والمقابر الجماعية والجثث المتعفنة في شوارع مختلف مدن الجنوب ، وسقوط ملكال وبانتيو وبور في يد مجموعة مشار وأصبح القتال بالطائرات والراجمات والدبابات واعتقال اولاد قرنق والتحفظ على زوجته وفرار ريك مشار وامتلأت معسكرات الأمم المتحدة حتى فاضت وبلغت مائتي ألف في مرحلة – وابتدأت مأساة النزوح واللجوء للكنغو ويوغندا وكينيا والسودان ، وفي ولاية الوحدةن لجأ حتى الوزراء والمسئولين غلى معسكرات الأمم المتحدة ، ودخلت قوات العدل والمساواة الحرب إلى جانب الرئيس سلفا ولكن دفعت قواتها ومناصريها الثمن غاليا حينما تمت تصفية مؤيديها حتى داخل مسجد بانتيو بالمئات – واستنجد الرئيس سلفاكير بالقوات اليوغندية والتي لولا حضورها وطائراتها ربما اصبح الرئيس سلفا ذاته نازحا . ومع تأمين جوبا بالقوات اليوغندية أخذت الوفود العالمية تترى على الجنوب بقيادة الأمين العام للأمم المتحدة موم ، ووزير خارجية أمريكا جون كيري ووفود الكنائس والإتحاد الإفريقي .

وبلغت الكارثة حدا حتى أن مجموعة إدارة الأزمة التي شكلها الرئيس سلفا في ظروف الموت والحرب انتهزت هي ذاتها الفرصة للنهب والسلب ، وإتضح أنه لايوجد جيش بما يسمي (الحركة الشعبية) ولكن أفرادا لكل الحرية اختيار قائده ، وكل قائد له جنود من قبيلته. وكانت رؤية القيادة الحاكمة أن مطلوبات إقامة جيش نظامي يقوم على الضبط والربط يصب في مصلحة الخرطوم ، كما كان كل فرقة جيش موازي من الاشباح يصرف مرتبات ولا وجود له ، عشرات الآلاف من الأسماء الوهمية وقواد وعقداء اعمارهم أعمار أطفال .ونواصل في الحلقة القادمة.